

R U O N I M M A H

فوضى الحواس



فوضى الحواس

الإهداء:

إلى مشاعري المبعثرة...

ما بعد الصبر جبر ، أرددھا كتعويذة تلثم
جروح صدري، وتعيد الحياة لقلبي من
جديد.

فصبر جميل

دخلت نبض إلى المنزل بسرعة وكانت قد خرجت لتوها من الكلية، أقت حقيبتها جانبا وحملت سترتها وراحت تتجه إلى الباب مجددا مخاطبة خالتها قائلة: أنا ذاهبة للقاء رائد، وداعاً..

لتجيبها الأخرى: حسنا، ولكن لا تتأخري.
لميس، هي خالة نبض الوحيدة، فتاة في الثلاثينات من عمرها وهي تكبرها بأربع سنوات، شقراء وذات عينين عسليتين، واسعتين مسحوبتين من الجوانب، لها خدان ممتلئان تخرقهما غمازتان عميقتان، هي فتاة قصيرة بالقدر الذي يجعلها تبدو شقيقة خطيبها الصغرى، ليست بالمتلئة كثيرا ولا بالنعيلة، ولكنها على العموم كانت تملك ذلك الجسد الذي يبيدها غاية في الظرافة، فهي في هيئتها شبيهة بدب أبيض محشو تعلو خداه حمرة جميلة. أما عن خطيبها فيدعى مراد،

شاب في الثلاثينات طويل القامة، أسمر بعينين
عسليتين ورموش رفيعة، ولهذا فإنه دائماً
ماكان في عينيها أشبه بتحفة فنية. على العموم،
تعيش نبض مع خالتها في مدينة أخرى غير
مدينتها، وانتقلت للعيش معها مذ قررت أن
تتخصص في دراسة الجراحات الداخلية،
وغياب هذا التخصص في مدينتها حال دون
سفرها وعيشها مع خالتها لتعود إلى منزلها
حينما تنهي الدراسة.

غادرت نبض المنزل وماهي إلا نصف ساعة
مرت حتى ورد لميس اتصالاً منها، ردت على
الهاتف لتقول نبض بصوت منهك: خالتي، أين
أنت؟

_ أنا في المنزل ماذا حدث، قالت ذلك وهي
في حيرة مما يحدث.

لتجيبها نبض: أرجوك تعالي، إني لا أقوى
على الحراك..

انتفضت لميس من مكانها وخرجت مسرعة من المنزل، استقلت سيارتها وهرعت أينما كانت تنتظرها نبض، وما إن اعانتها على الوقوف لتركب السيارة حتى أغمي عليها، ولم تستفق إلا بعد انقضاء ساعات معدودة.

" نبض "

كانت تلك هي نهاية قصة حبي البائسة، ظننت لوهلة أنها ستكون كقصص الروايات تماما، ولكنها لم تكن تشبهها قدر أنملة، ولن تشبهها أبدا...

شعرت بسعادة لاتوصف حين اتصل بي وطلب رؤيتي لأمر ضروري، ولفرط حبي له حسبته سيطلب مني أن نتقدم خطوة للأمام في علاقتنا، ولسذاجتي أخذت ادرب نفسي على الحديث لئلا أتلعثم في لحظة حساسة كتلك.. وليتني لم أفعل.

وصلت إليه بالكاد ألقط أنفاسي وقلبي يكاد يخرج من مكانه، جلست بجانبه أنظر إليه وأنتظر ان يبدأ الحديث بلهفة، لكنه لم ينظر إلي قط بل وتحدث بجفاء وبرودة أعصاب تامة ليخبرني بأنه قد وجد أخيرا فتاة أحلامه التي يرغب بالزواج منها وأنا سننفصل،، لم يكن من السهل على مشاعري الرقيقة أن تستوعب ذلك. انعدم الصوت عندي للحظة واخذ صدى كلماته يتردد في مسامعي، نظرت إلى ملامحه أتأملها للمرة الأخيرة ثم لملت كرامتي وما بقي من شتات قلبي وعدت ادراجي ولم أستدر بعدها... فقد قتل أحلامي ودمر القصور التي بنيتها قبل قليل في ثوان معدودة.

اشتد بي الألم فما عادت قدماي تقويان على حملي، فأسرعت بمهاتفة خالتي لتلحق بي ولم أعلم بقية ما حصل إلا أني استيقظت لأجد

نفسى فى غرفتى؁ فوق سرىرى وعلى جبينى
خرقة مبللة.

استيقظت نبض لتجد نفسها ممددة على
سرىرها وبرفقتها خالتها لميس التى اسندت
رأسها إلى سرىرها وغفت بعد أن كانت تغير
خرقة القماش على جبين نبض تارة بعد أخرى.
كان أول ما تذكرته عندئذ نبرة صوته وهو
يخبرها بقرار الانفصال؁ لم تتمكن من تمالك
نفسها وبدأت بالبكاء فى صمت لا يسمع فيه
سوى أنينها؁ على هذا الأنين استيقظت لميس
ورفعت رأسها لتجد نبض فى تلك الحالة؁
أخذت تقترب منها ببطئ لتستفهم الأمر ولكن
الوقت لم يكن مبالسا للسؤال لتحتضنها وتتركها
تكمل بكاءها الذى أخذ يعلو وتسمع فيه

شهقاتها، تبكي بحرقة وتقول: أقسم أني أحببته بكل خلية من خلايا جسدي هذا، أحببته، كنت لأهب له قلبي إن طلب ذلك دون تردد، أقسم بذلك أقسم أني أحببته، بكت بشدة، بكت كما لم تفعل من قبل، فخرج آنذاك كل ما اعترأها من شعور برفقة بكائها ذاك، آلام الماضي، تعب اليوم وجرح قلبها، خرج الجميع مع بحر الدموع الذي ذرفته في لحظة ضعف.

وفي نهاية كل ليل مؤلم تنتشلنا غيمة الأحلام لتأخذنا إلى عالم لا حزن فيه ولا ألم، لا شيء فيه سوى السكينة والإطمئنان...

استيقظت في الصباح بقوى خارة، جسد منهك وعينين مخضلتين بالدموع، مضمحلتين بالكاد تستطيع فتحهما، اغتسلت واتجهت مباشرة إلى المطبخ لتجد لميس قد أعدت لهما الفطور

لتجلسا سوية وتتناولاه، كانت جالسة أشبه
بجسد خال من المشاعر، تتصرف وكأنما كانت
آليا مبرمجا على فعل أشياء محددة ومع كل
هذا لم تكف لميس عن مشاهدتها وهي تقوم
بذلك، و بالرغم من كل الآلام في قلبها
استعادت تركيزها وقالت بهدوء: لقد انفصلنا..
لتجيب لميس: أجل علمت ذلك... كيف
حالك؟

_ بخير كعادتي.

_ نبض، بوسعك اخفاء مشاعرك عن أي
شخص لكن خدعتك هذه لن تنطلي علي..
واقتربت منها وقامت بضمها إلى صدرها
واسناد رأسها الى كتفها وهي تمسح عليه
برفق، في الوقت الذي كانت فيه دموع نبض
تنهمر دون سابق إنذار. كانت أقوى من أن
يجبرها شيء على البكاء ولكن أنى لها أن

تتحمل خذلان أحب الناس لقلبها، كانت بالفعل تحتاج للكثير والكثير من الوقت لتتناسى ذلك. كان هذا أول يوم تقضيه نبض بعيدا عن رائد، أول يوم لاتستيقظ فيه على مكالمته، وأول يوم لا تتطلع فيه للتحديق بصورته، أول يوم في حياتها الجديدة التي تخلو منه، كانت قد قضته وهي تتخلص من شظايا ماضيها المؤلم الذي مر عليه يوم واحد ليس إلا، صحيح أنها تمكنت محو اسم رائد من مذكراتها، لكنها لم تتمكن من محوه من ذكرياتها، كيف لحب ثلاث سنوات أن يُنسى بين ليلة وضحاها كانت تعلم علم اليقين أنه ليس من السهل حدوث ذلك، لعله يحتاج لبعض الوقت، بل الكثير والكثير منه.

بمرور الأيام تحسنت حالها لتصبح أحسن من ذي قبل، لتقرر في أحدها الذهاب في زيارة

لوالديها اللذين مر أكثر من سنة على آخر مرة
اجتمعت بهما. لم يكن من السهل الإبتعاد
عنهما ولكن الحياة أرغمتها على ذلك فقط من
أجل بلوغ مرادها.

استقلت الطائرة برفقة لميس واتجهتا نحو بيتها
وهي تشعر بالحنين لأيام ماض كفرته الأيام
والسنوات لكنها لم تُكفر أبدا من ذكرياتها،
تتذكر أسماء اصحاب البيوت بجوارهم
وصديق طفولتها معاد الذي لم يكف يوما عن
إرسال الحلوى لها برفقة شقيقها قيس. كان
دائما ما يأمل أن تكون عروسته يوما ما وما
يعدها بإرسال الحلوى لها حين يكبر، ولكن
القدر شاء أن تختطفه المنية من بين يدي أمه
قبل أن يكبر.

وقفنا أمام الباب وضمت أصابعها المرتجفة
ورفعت قبضتها لتطرقة كعادتها، ثلاث
طرقات لم يكن دقها آنذاك مختلفا عن دقها حين

كانت صغيرة سوى في صدى الصوت الصادر من دقها الذي أصبح أقوى مع كبر قبضة يدها، أخذت السيدة رزان تتجه نحوه بسرعة وهي تتحدث أنا قادمة.. قادمة.. فتحته لتفاجأ بإبنتها لتسحبها إليها دون أي شعور وتحتضنها وتملاً وجهها بالقبل، كان مجيؤها مقترنا بعودة السعادة إلى البيت وراحت قلوبهن تتراقص من شدة السعادة، فقد كان هذا اللقاء كفيلاً بأن يعيد السعادة لقلبها بعد أن هجرته دون عودة...

بعد يوم حافل استعادت فيه نبض جميع ذكرياتها وعادت فيه لحضن والديها بعد غياب طويل، اختلت بوالدتها لبعض من الوقت وراحت تملؤ بطارية قلبها من حبها بما يسعها لتتخطى الأيام المقبلة في الوقت الذي نظرت فيه السيدة رزان لعيني إبنتها وقالت: عزيزتي هل أنت بخير، لا تبدين كعادتك، وكأن هناك ما

يشغل بالك ويحزنك، أهنالك خطب ما؟ أهو
شيء متعلق برائد؟؟

جحظت عينا نبض بمجرد ان ذكرت والدتها
اسم رائد وامتلات عيناها بالدموع وراحت
تخبر والدتها عما حصل... عند انتهاءها من
ذلك مسحت السيدة رزان على رأس ابنتها
بهدوء و راحت تمسح دموع خدها ثم قالت:
حصل خير عزيزتي وأردفت قائلة: عزيزتي
لا تقلقي سيعوضك الله خيرا منه فما أخذ
الجميل منك إلا لأنه يخبؤ لك الأجل ومع
نهاية هذا الحزن يأتيك عوض منه وإن تأخر..

حبييتي إن الحياة كتاب مفتوح صفحاته دروس
لنا ومن كل درس نعتبر فمن كل جرح نتعلم
وبكل ألم يلم بنا نزداد قوة .. تعلمنا كيف نكون
اقوياء بأنفسنا، اقوياء لانفسنا لا لغيرنا تعلمنا
كيف نكتفي بذواتنا وألا نحتاج الآخرين في
حياتنا تعلمنا أن نجعل من الوحدة رفيقا وأنيسا

لنا فمانن احد سيرا ففك الى نهاية الممر
سير حل الءممع واطا ءلو الاخر ولن ءبى معك
إلا نفسك فى قارة الطرىق..الءنبا لىسء ءارا
للءلوء نءلء فىها؁ انما نحن مجرد ضىوف فىها
نعىش فىها مءة من الزمن ونرل منها آءىن
معنا أعمالنا وءىر ءاركىن سوى ءكرىاء ءل
أسماءنا..لأءل ءوم يا عزىءى؁ لا احد ءى
انا سىأى الوم الءى افارق فىه الءىاء واآءفى
من هءا العالم ءماما لكنى ارىءك يا عزىءى ان
ءبى ابءى القوىة الءى اعرفها؁ ارىءك ان
ءمضى قءما فالءىاء لا ءءوقف على شءص معىن
وآىاءك لن ءءوقف على موءى؁ ارىءك ان
ءكونى قوىة لأءلك لا لشءص آخر ولءعلمى
انى وإن ءبء عن ناظرىك فلن ءءىبى عن
ناظرى سأءار هءه الءنبا لكنى سأءىا ءوما
هنا.. فى قلبك ولن افارقك.. سأكون معك فى
كل آءوة ءآطىنبا ولن اءلى عنك..سأكون

نسمات الهواء العليل التي تلفح وجهك بنعومة..
سأكون القمر الذي يطل على نافذتك كل ليلة
ليطمئن على حالك، قطرات المطر التي تداعب
وجهك، وأشعة الشمع التي تتسلل اليك من نافذة
غرفتك.. سأكون دوما برفقتك.. عزيزتي ان
كنت أنا رحيمة بك فإن الله أرحم مني بك..
ستشملك رحمته ويأتيك عوض منه ينسيك
احزانك والصعاب التي تخطيتها بمفردك..
كوني على يقين بأن العوض سيأتيك من الله
وإن تأخر فإنه سيجد طريقا للوصول إليك....
كأنما تودعها بكلماتها، بعدئذ قامت نبض
وراحت تحتضن والدتها بحرارة وكأنه آخر
حضن لهما...

مع شروق شمس اليوم التالي استقلت نبض
ولميس الطائرة وعادتا ادراجهما واثناء الرحلة
قالت: تمنيت لو ان اليوم يزداد طولا فأمضي

وقتا أكبر برفقة والداي.. أقسم انني افتقدتهما
كثيرا..

فأجابت لميس: لا تقلقي عزيزتي سنعود
لزيارتها في اقرب فرصة فلا تحزني...

كانت نبض قد خرجت لتوها من الجامعة
حين تبادر الى مسمعا خبر حدوث انفجار
مريب في المدينة التي يقطن فيها والداها والذي
اودى بحياة أكثر من ألف مواطن.. لم تفكر
عندئذ الا بوالديها.. اهنا بخير، امسكت
حقيبتها واطلقت العنان لقدميها قاصدة المنزل،
عند دخولها اليه اخذت تبحث عن لميس وهي
تتفقد الغرف واحدة تلو الأخرى الى ان سمعت
بكاء حارا يسمع له شهيق. هرولت اليها

لتجدها في حالة يرثى لها اقتربت منها على
مهل واحتضنتها ليزداد بكاءها أكثر فأكثر،
أخذت تصرخ وهي تقبض على سترة نبض
بشدة: ل..لقد ماتت، شقيقتي ماتت نكثت
وعودها بالبقاء برفقتي، لقد كُسر ظهري
وفقدت شقيقتي..... تبكي بكاء هستيريا...

كان هذا الخبر اشبه بالضربة القاضية بالنسبة
لمشاعر نبض.. اجل كان هذا كفيلا بأن
يجعلها تفقد الأمل كلية في الحياة، عدا انها لم
تذرف اية دمة بخصوص والديها.

بمرور الايام كانت حال لميس تتحسن شيئاً
فشيئاً اما نبض فلا تزال تحت تأثير الصدمة
كانت كل منها ولميس تعلم جيداً ان هذا
الصمت ستكون له عواقب وخيمة، لكن أنى
لهما ان يتصورا ماهية هذه العواقب...

كان جميع من بالقاعة يصغي بتمعن لما يقوله البروفيسور في المحاضرة في اللحظة التي استدارت فيها ياسمين الى نبض لتحدثها وإذا بصرخة حادة تنطلق منها جعلت انظار الجميع متجهة نحوها.. مالذي حدث؟.. كانت عندها نبض قد اغمي عليها وتغير لونها وراح يميل للزرقة، بالرغم من المحاولات العديدة لإيقاظها ولكن دون جدوى فقد كان الأمر يتطلب تدخل سيارة الإسعاف، وماهي إلا دقائق معدودة حتى حضرت هذه الأخيرة مصدرة ضجة مدوية..

نقلت نبض الى المشفى وهي غائبة تماما عن الوعي وبقيت على حالها تلك ساعات عديدة، لتفاجأ عند استيقاظها بأنها باتت في المستشفى..

"نبض"

"فتحت عيني لأجدني في غرفة مطلية بالكامل باللون الأبيض.. لا أقوى على الحراك.. وارتي قناع تنفس.. التفت يمنا ويسرة فوجدت بجانبى جهازا لقياس نبضات القلب لأدرك حينها أنى فى المستشفى، ولكن ماذا حدث.. حدث طويلا فى الباب الذى كان فى ركن الغرفة ليفتح وتدف إلى فتاة ترتدى ثيابا زرقاء لم تمكث طويلا حتى غادرت ووقفت بجانب الباب تتحدث: حضرة الدكتور.. إن المريضة قد إستعادت وعيها للتو..

ماذا حدث.. أكنت ضحية لحادث.. أهو انفجار أودى بي إلى المشفى.. أم أن الحياة تواصل اللعب بي فتوقف قلبى عن النبض فجأة ثم عاد مجددا.... لا أعلم.. كل ما اذكره أنى أحسست بثقل رأسى، لم أستطع تحريك جسدى.. كنت عاجزة على الحركة.. لكن ماذا حدث بعدها.."

ليقطع تفكيرها هذا دخول الدكتور آدم إلى
الغرفة، اتجه نحوها بخطى هادئة وراح يتفقد
عينها أولا ثم نبضات قلبها ثانيا.. بعد انتهائه
من هذا عدل سرير نبض ووضع كرسيها على
مقربة من سريرها ثم قال: الحمد لله على
سلامتك، كيف حالك آنستي.. لا داعي
للتحدث يكفي ان تومئي برأسك فقط يا آنسة..
وإذا بها تخلع قناع التنفس عنها وتقول: لا
لابأس بذلك.. الحمد لله بخير.. لكني أشعر
بتعب وإرهاق شديداً

_ لا بأس سيخفان مع مرور الوقت..
_ سيدي.. منذ متى وأنا هنا وماذا حدث؟
_ حسناً، لقد مضى يوم على مجيئك.. تم
إحضارك إلى هنا بعد أن فقدت الوعي في
الجامعة..

_ يا إلهي يوم كامل.. لأبد وان خالتي ستقلق
كثيراً بخصوصي.. (وهي تحاول القيام).

_ لا لاعليك يا آنسة فقد تم إخبارها بما حدث وهي الآن خارج الغرفة تنتظر الدخول عليك.. سأطلب منها الدخول..

خرج الطبيب آدم واتجه إلى قاعة الإنتظار المتواجدة بجانب غرفة نبض ليطمئن لميس على حالتها ويخبرها انه بإمكانها رؤيتها الآن.. عندئذ هرولت لميس الى غرفة نبض وراحت تتفقد حالها وتتأكد من أنها بخير بعينيها وبعد أن دار بينهما حوار طويل أخذت نبض تحاول القيام من السرير، فقاطعتها لميس وهي تقول: نبض... لقد قال الطبيب أنه يتوجب عليك قضاء اليوم هنا كذلك..

لتجيبها بصوت قد طغى عليه التعب: لا.. لا.. أريد العودة إلى المنزل الآن رجاء، ليقاطعها صوت الطبيب آدم وهو يقول: ان كانت ترفض البقاء هنا فيمكنها المغادرة.. بشرط ألا ترهق

نفسها وأن تتجنب كل ما يسبب لها القلق
والتوتر..

نبض: ولكن ما سبب كل هذا..

آدم: لقد قمت بإجراء مجموعة من التحاليل لك
يا آنسة وسنتصل بخالتك لأخذها ولمناقشتها
حالما تجهز..

_ حسنا.. شكرا لك.

_ إن هذا واجبي.. طهورا إن شاء الله.

ثم قامت نبض بأخذ أغراضها وعادت إلى
المنزل برفقة لميس..

"آدم"

" كعادة سيارة الإسعاف.. جاءت إلى المشفى
مسرعة وهي تصدر ضجة مدوية محضرة

معها فتاة لا تكاد تتجاوز الثلاثين من عمرها.
كان من حسن حظي ان كنت اول من
يصادفها فقت بإسعافها وأخذ بضع القطرات
من دمها لإجراء تحاليل لها.. لم يكن هذا تهورا
وإنما علمت من زرقة وجهها ما تعاني منه
ولهذا فإنه كان من الواجب اجراءها كما انه لم
يكن بوسعي تشخيص حالتها بناءا على تجربة
سابقة فنتائج التحاليل هي سيدة الموقف وكما
يقال فإن الثقة لا تكون إلا في الوثيقة..وقفت
بعد إسعافها في ذات الغرفة شارد الذهن
محتارا في أمرها.. أنى لمثلها ان يعاني من
هذا المرض.. لم أكن يوما ممن ينظرون
ويتمعنون في خلقة النساء لكني أقسم أني رأيت
الإبتسامة في ثغر قلبي وسمعت ضحكته حين
رأيتها.. كانت آية في الجمال ذات شعر جون
لاذت منه خصلات شقية بالفرار وراحت
تختلس النظر من جهة وتلقي من جهة أخرى

على من في القاعة التحية. حاجباها جسران
أسودان ولعله للغارقين في عينيها طوق نجاة،
رموشها رفيعة كثيفة تصطف على حواف
عينيها تماما كاصطفاف جنود المسلمين في
الغزوات، عيناها حجران كريمان لؤلؤتان
مظلمتان كظلمات في بحر لحي يغشاه موج من
فوقه موج من فوقه سحب كان بياض عينيها،
تتلقفهما من الأسفل سحابة زرقاء تنبؤ بقدم
عاصفة رعديّة خطيرة تشق طريقها نحو قلبي
الصغير بروية.. كان لها أنف صغير يشبه في
شكله أنف دمية تعلوه حمرة طفيفة، إلى جانبه
تختبئ على استحياء غمازة في خدها
اليسرى، كأنما تخجل من كل من يلتفت إليها أو
يلقي عليها نظرة.. وشفاه صغيرة شبيهة
بفراولة شديدة الحمرة،، كانت فعلا فتاة جميلة
بل أكثر من ذلك بل إبداع ولوحة
ربانية.. وبينما هي غائبة عن الوعي تبتسم فجأة

بعفوية فيرتفع خذاها وتنطلق منهما رصاصة
وردية، تطأ قلبي فتستقر فيه وتوقظني فجأة من
غفلي وأحلامي اللامتناهية...."

بعد مضي يومين اتصل الطبيب آدم بلميس
وطلب منها المجيء لاستلام نتائج تحاليل نبض
وليحدثها عما تعاني منه. كان جالسا في مكتبه
حين سمع طرقا في بابه ليعدل بعدها جلوسه
ويقول: أدخل. واذا بنبض هي الطارق،
تفاجأ الطبيب عندها ووقف ترحيبا بها وعدل
لها كرسي لتجلس وهو يقول: تفضلي يا
آنسة.. (وهو يجهل تماما ما يقوم بفعله)

نبض: كنتَ قد هاتفت خالتي لكني طلبت
منها أن احضر بدلا منها ان لم يكن لديك مانع
من مجيئي؟

آدم: لا بتاتا، حسنا كيف تشعرين الآن؟
_ الحمد لله أحسن من ذي قبل، هل لك ان
تخبرني..؟

_ حمدا لله، أنسة هل سبق لك وأن اجریت
تحاليل طبية؟
_ لا أبدا

_ ماذا عما أصابك يومئذ، أسبق وحدث معك
الشيء ذاته..

_ لا فقد كانت تلك أول مرة.. ثم أردفت وهي
تشبك أصابع يديها من شدة التوتر.. سيدي هل
لك أن تخبرني عما يحدث إن هذه الأسئلة وهذا
الانتظار يوترانني؟

فقال وهو يتفقد نتائج التحاليل التي قام
بإجرائها حسنا يا أنسة سأخبرك دون إطالة.

من خلال نتائج التحاليل خاصتك تبين ان لديك عجزا كلويا وهو مرض غالبا ما يكون وراثيا أي أنه من المحتمل أن احد والديك كان يعاني منه..ثم أردف: هو ليس بالمهلك ولكنك في مرحلة متقدمة وهذا ما سيكون سببا وفي إطالة مدة تلقيك للعلاج ولهذا فإنه عليك أن تصبري وتكوني قوية فالصبر ليس بالأمر السهل..أما بالنسبة لعلاجك فإني قد وصفت لك دواءا عليك تناوله على مدار شهر كامل ودون انقطاع..وبخصوص التحاليل فسيكون لديك موعد لإعادتها مرة كل شهر وسيكون ذلك عند انتهاء علبه الدواء التي اخبرتك عنها مسبقا..

__ ولكن لم اعادة التحاليل؟

__ إن هذا الدواء يا أنسة ذو جرع مختلفة التراكيز فكلما أعدنا إجراء التحاليل، وكلما استجاب جسدك للعلاج، ضاعفنا الجرعة وهذا ما سيقبل من مدة العلاج.

_ وكم من الوقت سيتطلبه ذلك؟
_ العلم لله يا أنسة، فمدة العلاج تختلف من
جسد لآخر ومن حالة لآخرى وكذا باختلاف
المرحلة التي يكون فيها المريض.

على مدار سنة كاملة كانت نبض تتلقى
العلاج عند الطبيب آدم وبالفعل فقد كانت
تتماثل للشفاء وخلال هذه السنة حدث الكثير،
فلميس خالة نبض هي التي حدد تاريخ زفافها
وزفت بعد شهرين من بداية علاج نبض و كان
ذلك يحزنها بقدر ماكان يسعدها فخالتها كانت
آخر من تبقى لها من افراد عائلتها وزفافها
ومغادرتها للمنزل يعني لها عودة الوحدة من
جديد... احتضنتها بحرارة يوم زفافها ودموع
الفرح بادية على وجهها وقالت: سأشتاق إليك

كثيرا يا شقية ثم اردفت: ألا يزعجك العيش هنا بمفردك؟ لتجيبها: لا تقلقي عزيزتي فما عادت الوحدة تخيفني.. سأشتاق لك كثيرا. فلتهتمي بنفسك جيدا ثم استدارت الى مراد موجهة له الحديث قائلة: ارجوك فلتعتني بها جيدا...

كان ابطال حياتها يغادرون واحدا تلو الآخر ويكأن الجميع عزموا على ان يفلتوا يدها في ذات اللحظة.. اولا حبيبها ثم والديها ثم خالتها ثم لم لا احد.. لم يبق أحد برفقتها سواه.. سوى من علمت علم اليقين بأنه لن يتركها.. من كانت تذكره في سكناتها حركاتها وتنهيداتها.. في صلواتها. فوق سجاداتها ودمع الأسى ينحدر من خديها في اسرارها وعلانيتها.. في صباحاتها وامسياتها.. تسجد متضرعة له متناسية ألما تعتصر قلبها وتناجي "أعني يا الله فإن قلبي قد أدركه من التعب ما أنهكه _ وأنت

أعلم بما أدركه_ وماعاد يقوي على تحمل
المزيد. أعني يا الله.. فإنه لا يقوى على ترتيب
فوضاي أحد سواك".

" نبض "

" وماذا بعد.. سلسلة الفراق هذه لا تريد ان
تنتهي.. ان الوحدة تشق طريقها نحوي وتجعلني
احد فرائسها... لكني سأصبر فكما تقول أمي
لا شيء يأتي دون صبر وستشملني رحمة الله
ويأتيني منه العوض وإن تأخر".

دلفت نبض إلى غرفتها وجلست فوق
سريرها واذا بها تجد هاتفها فوقه. حملته
وفتحته لتجد أكثر من خمس عشرة مكالمة من
لميس، انتفضت من مكانها وراحت تعاود

الاتصال بها وبعد ثوان اجابت لميس عليها
لتقول:

_ صباح الخير خالتي..

_ صباح الخير عزيزتي.. كيف حالك..ماذا

حدث لم لا تردين على الهاتف..؟

_ أنا بخير.. أنا آسفة لم أنتبه لاتصالاتك لأن

الهاتف كان في الوضع الصامت..

_ حسنا لا عليك عزيزتي.. أنت في المنزل أم

أنك ستغادرين؟

_ لا أنا في المنزل ماذا حدث؟

_ لم يحدث شيء لكني اريد التحدث إليك في

موضوع هام جدا.. انا في الطريق إليك..

_ حسنا اذن. انا انتظرك..

لم تكن سوى بضع دقائق حتى اصبحت لميس

في منزل نبض وماهي إلا دقائق قليلة تبادلا

فيها أطراف الحديث حتى باشرت لميس

الحديث في الأمر الذي جاءت بخصوصه وهي
تقول:

_ نبض ألا تريدين أن تتزوجي..

غضنت نبض حاجبيها حينئذ ثم قالت:

_ ليس امرا مهما بالنسبة لي..

لتقول الأخرى: لكن ماذا إن تقدم شخص ما

لطلب للزواج.. فماذا ستفعلينه..

_ أظن أنني عندها سأستسلم لأمر الواقع

وأوافق به.. ولكن من هذا المجنون الذي

سيفعل..؟

_ حسنا، الأمر الذي جئت لأحدثك عنه... في

الواقع تحدث أحدهم إلى مراد وقال بأنه معجب

بك ويريد التقدم لخطبتك، فما قولك..؟

_ إن كان شخصا تقيا لا يتعاطى محرما فإني

أقبل به؟

_ أخبرني مراد بأن الشرف والنبيل باديان عليه
من هيئته.. أرجو أن تفكري مليا قبل أن تتخذي
قرارك..

_ لقد قررت بالفعل.. إن كان كما تقولينه فإني
أقبل به دون مقابله حتى..
_ ماذا ولكن كيف.. لم..

_ ما عاد اتخاذ شريك او الوقوع في الحب
يهمني ولكن أقسم اني سئمت هذه الوحدة ولا
أريد ان أكمل بها ما تبقى من عمري.. وسأقبل
بأول شخص يتقدم لخطبتي..

عندئذ قفزت لميس من شدة السعادة وراحت
تتصل بزوجها لتطلب منه ان يحدث الشاب
ليتفقا على اليوم الذي يأتي فيه رفقة عائلته
لرؤية العروس.. وبعد برهة اتصل بها مجددا
ليخبرها أن العائلة يريدون المجيء في هذا
المساء..

أغلقت الخط عندها وأخذت تجهز المنزل برفقة
نبض لمجيء الضيوف.

في المساء جاءت أسرة العريس التي تشكلت
من فردين اثنين كان ثالثهما الشاب الذي تقدم
للخطبة.. استقبلتهم لميس بصدر رحب ثم
أسرعت لأحضار نبض.

نزلت نبض برفقة لميس _ وهي تحمل بين
يديها الضيافة _ تلبية لرغبة أهل العريس لتتنظر
اليه وتفاجأ عند رؤيته لم تكذ تصدق عينيها...
كان الدكتور آدم، قالت في نفسها محاولة
اقناعها: لعله جاء صدفة الى هنا وليس كما
اعتقد.. تقدمت بخطى متثاقلة وسلمت على أهل
العريس ثم ضيفتهم وجلست الى جانب الدكتور
آدم بعد ان طلب منها ذلك، لم تكذ تستوعب ما
يحدث امامها كانت تنظر الى الأرض وقد

اطبق الصمت على كليهما فقال: لقد اخبرني زوج خالتك بأنك موافقة فهل يمكنني ان اسمع ذلك منك لتوماً برأسها وتعيد نفس الكلام الذي قالت له لخالتها... اطبق الصمت مجددا وراحت نبض تبتسم تارة وتحاول اخفاء تلك الابتسامة التي لم تجد تأويلا لها وبالرغم من انها كانت تعتقد بأن ماكان يجول ببالها لن يعلمه آدم ولكنه كان خبيرا في ذلك وراح شبح ابتسامة نصر يطل على شفثيه وكأنه علم لوهلة مايجول ببالها.. ومع كل هذا فإنها كانت تعلم لوجه اليقين انه مقبل على جانب عظيم من الجمال...

كان لايزيد عن طول رائد ولربما يقل عنه ببضع سنتمترات فقط ولكن بالاضافة الى الطول فإن الجسم دائما ماكان يجذب الانتباه.. فكان له جسد مميز كأنما خلق ليكون عارض ازياء.. ولم يكن جماله وحسنه يقل عن جمال

الممثلين قط ولو انه ترشح لدور روميو لناله دون ادنى عناء منه ولكنه فضل ان يكون طبيبا على ان يكون ممثلا... اضافة لذلك فإنه نال نصيبه من ميراث والديه قبل ان يتوفيا حتى، فحظى بعينين زرقاوتين كزرقة البحر من والده وشعر اسود كالح ككلحة ليال الشتاء الباردة من والدته.. كان فعلا شخصا مميزا حتى ان عينيه تناسبنا تماما مع لون شعره وبشرته.. بالرغم من ان هذا التناسب والتجانس لا يكون إلا نادرا..

وفي ازدحام فوضى حواسها استجمعت قواها وقالت: اكاد اجزم اني لم اتعرف عليك حضرة الطبيب.. فأجابها مطمئنا إياها: لا عليك.. فمن الان ستعتادين رؤيتي هكذا...

بالطبع فكونه طبيبا يجبره على البقاء بذاك المنزر الطويل طوال اليوم إلى جانب النظارة

التي كانت تضي عليه لمسة سحرية تكاد ترافقه الى سرير نومه...

اطبق الصمت عليهما من جديد وراح الطبيب آدم يقطعه بقوله: انني لن اكرر الكلام المعتاد الذي يتفوه به العرسان ولكني سأخبرك مباشرة عما احب وأمقت سأخبرك بكل شئ ولن اخفي عنك حرفا واحدا وان لم يرقك شيء فأرجو ان تعلميني..سأسعى جاهدا لتغييره وسأفعل المستحيل كذلك فقط من اجل رضاك..

نظرت إليه نبض مترددة وكأنما هناك ما تخشى قوله ومن ثم قالت: اتقبلني كزوجة بالرغم من كل ما ارتكبته من اخطاء في حياتي..

فأجاب مبتسما: اني اقبل بك بكل مافيك.. كلنا خطأون وليس بيننا من لا يخطئ..فالإنسان بطبعه خطأ.. أليس ماقلته صحيحا!!

فنظرت إليه مبتسمة وهي تومئ برأسها دالة
على الموافقة..

مر الوقت بسرعة، لم يقم آدم حفلة للخطوبة
ولكنه اسرع في تعجيل حفل الزفاف الذي لم
يبق له سوى ايام قليلة....

يوم الزفاف

" نبض "

" هاأنذا اجدني امام واقع اعجز عن تصديقه
ولا يمكنني انكاره، اراني اقف امام طريق
مسدود من كل الجهات لايسعني العودة للوراء
وليس لي الا ان اتقدم بالرغم من رفضي التام

لذلك.. هأنذا ارتدي هذا الفستان الأبيض الذي طالما حلمت بأن ارتديه وأذهب به إلى أحب الناس إليه لأكون ملكا له ولأحتمي بين ضلوعه ولكن اين انا من بين هذه الاحلام. اصبحت بالكاد اشعر بنفسي اصبحت كل احاسيسي ممزوجة بنوع من اللاشعور واما قليل سأصبح أنموذجا عن اللاوعي.. فهذه نهاية أحلامي وهذا واقعي وهذا زفافي الذي وافقت عليه بمحض ارادتي ولكن بشعور يوحى بأني مجبرة على فعل ذلك.. صحيح اني وافقت على الزواج ولكن ذلك لم يكن إلا ارضاءا لخالتي التي لاتكف عن القلق بخصوصي.. لم يكن سوى طريقة للاحتماء من الشكوك التي تدور حولي.. ولم يكن سوى مفرا لي من واقع سيء الى واقع اجهله.."

" آدم "

" اليوم.. اليوم تحققت اكبر امنياتي وكتب لي
عمر جديد واقع جميل وحياة أجمل.. اليوم
سيجمع القدر بيني وبين أسرة قلبي ومالكته....
اليوم..

تتقدم نحوي بخطى ساحرة متألة بفستانها
الفاتن وكأنها أميرة من أميرات ديزني ولعل
جمال الاميرات يتلاشى امام جمالها..

وقفت امامي وانا لا أكاد اصدق ان اليوم
سيجمع بيننا.. نظرت الى عينيها والابتسامة
تعلو وجنتاي.. كانتا ذابلتان وكأنهما مرأتان
توحيان بكل ما مرت به من صعاب في
حياتها... وددت لو اضمها.. لو اجد علاجاً
لذبول عينيها.. لو أحتضنها وأعدها بأن كل شئ
سيتحول الأحسن.

لكنني اقسم لك ياعزيزتي.. لن ادع مكروها
يصيبك ولا أمرا يحزنك ستكونين ملكة تتربع
على عرش قلبي وسأعوضك عن كل ما

اذبلك...فأنت هدية من الله لي وهدايا الله
لاتهمل....".

بدأت مراسيم الحفل واخذت لميس تستقبل
الضيوف بحفاوة وصدر رجب وعلت اصوات
الزغاريد حين دخل موكب الزفاف لأخذ
العروس الى بيتها الجديد... انتقلت عندها
نبض من حياة العزوبية الى حياة جديدة في
بيت جديد وبرفقة اهل جدد لكنها لم تشعر يوما
بأنهم بيت حماها، فكانت دائما ما تشعر بأن
الخالة زهرة بمثابة امها الثانية وأن العم مختار
والدها الثاني بالرغم من كونه مريضا طريح
الفراش لايقوى على الحركة إلا انه قد شغل
مكانا كبيرا في قلبها وشغلت هي الاخرى مكانا
أكبر في قلبه فكانت رؤيته لها لاتزيدة إلا فرحا
وسرورا وكان الكون يرقص حوله...

أما آدم فكان ما يكنه من مشاعر لنبض يقوى
يوما تلو الآخر وعلى مضض من استيائه من

كم الرسمية والتحفظ اللذان تعامله بهما نبض
إلا انه لم يفقد الأمل يوما وكان على يقين بأنه
سيأتي اليوم الذي ستبادله فيه نبض المشاعر
ذاتها...

كانت نبض لاتزال تتلقى علاجها عند آدم
وكانت بالفعل تتماثل للشفاء ولم يتبقى للشفاء
الكلي سوى القليل، وكون زوجها هو الطبيب
ما جعلها لا تكلف نفسها عناء الذهاب للمشفى
فقد كانت تعالج في المنزل..

كانت تعيش حياة مطمئنة في بيتها الجديد مع
عائلتها الجديدة وتتلقى الحب من كل جهة.

استيقظت ذات يوم في منتصف الليل، كان
النور منطفئا حين سمعت صوتا خافتا يهتف
بتضرع يدعو لها خفية؛ اللهم عافها وادم
فرحتها واشف جروح قلبها.. اللهم اني احببتها

فارزقني حبها.. اللهم اني احببتها فارزقني
حبها.. اللهم اني احببتها فارزقني حبها، ثم
واصل الدعاء ببكاء خافت يشبه الأنين، أخذت
تسمعه وتبكي لبكائه كان قد مضى وقت طويل
منذ آخر مرة رأت فيها شخصا يصلي ويدعو
من اجلها فكان الوحيد الذي يفعل ذلك هو
والدتها، دثرت نفسها وراحت تبكي بصمت لما
سمعته من كلام لامس قلبها وأحيا المشاعر
بداخلها...

حين استيقظت في النهار امتلأت عيناها
بالدموع بمجرد رؤيتها لأدم لم يستوعب شيئاً
إلا كونه يراها تبكي بشهقة وكأنها لم تفعل ذلك
منذ مدة وكان ماكانت تكتمه بداخلها لم يجد
مكانا كافيا يسعه فالتجأ للهجرة من قلبها في
دموع لا نهاية لها ولم يكن امامه خيار آخر إلا
ان يضمها إليه ويدعها تكمل بكاءها عليها
ترتاح.... بعد مدة طويلة بكت فيها نبض كل

شئ قال آدم: مايبكيك؟ فنظرت إليه بعينين
ذابلتين مضمحلتين ومحمرتين، ومن ثم علت
ابتسامة منكسرة وجنتيها بعد ان اجابته قائلة:
لا لاشئ..كل مافي الأمر أني رأيت ما حرك
مشاعري واثارها..

مرت الأيام والأسابيع والشهور وتخرجت
نبض من كلية الطب لتصبح طبيبة مختصة في
الجراحات الداخلية وبرفقة ذلك تماثلت للشفاء
بصفة تامة...وأخذت العلاقة بينها وبين زوجها
في التحسن وراحت تتطور من الجيد إلى
الأحسن وأخيرا أحبته وبادلته مشاعره بعد ان
أغلقت باب قلبها على مصراعيه، ولكنها لم
تتمكن من إبقاءه مغلقا ففتحته مرغمة على
ذلك، فتحتة ودقات قلبها تتراقص وقد عادت
مشاعرها مجددا إلى الحياة.. فتحتة بعد أن
فقدت ثقتها الكاملة في شئ اسمه الحب ولكن
ماذا عساها تفعل...

" نبض "

" لم اتخيل يوما بأن قلبي هذا سيعود للحياة من جديد وسيقوى على الحب مجددا، وبالرغم من كون هذا الأمر مستحيلا بالنسبة لي إلا انه حصل..حصل دون انذار ولا توقع، حصل بفعل الحب..الحب الذي لم اشعر به يوما من طرف رائد ها أنذا اشعر به برفقة حب حياتي آدم..أحببته فعلا أحببته وسأستمر في حبه..كان هو العوض الذي أخبرتني عنه والدتي قبل وفاتها أتذكرها حين قالت " سيأتيك العوض من الله وإن تأخر فإنه سيجد طريقا للوصول إليك" أنت هو ما وعدني ربي به و رزقني به بعد طول عناء أنت هديتي التي جبر الله بها بخاطري وأعاد بها إحياء مشاعري.. أنت روحي وحياة قلبي ونبضي.. أنت كل شيء بالنسبة لي... "

تغيرت مشاعرها واستقر حالها بعد ان تحققت
اخيرا امنية آدم التي كان يتوق اليها بشدة..
زادت محبته لنبض واخذ مكانها في قلبه يكبر
يوما تلو الآخر ولا يغادر المنزل إلا وقلبه معلق
به ويريد العودة إليه بأسرع وقت.

بعد مرور ستة اشهر راحت الاوضاع في
سوريا تتدهور شيئا فشيئا واخذت الهجومات
الفرنسية تزداد وتصبح اكثر وحشية. بعد ان
تضخم الاضطهاد الذي كان يعاني منه اهل
سوريا تم دعوة الشباب السوري من اجل
التصدي للعدو او بمعنى آخر.. من اجل
الحرب، في الوقت الذي كانت تعاني فيه نبض
من ارق واعياء شديدا وهي تجهل تماما
ما يحدث.. تستفرغ أكثر مما تأكل وترهق أكثر
مما تعمل وكان أكثر ما تخشاه أن تكون هذه

اعراضا لمرحلة جديدة ومتطورة قد بلغت من مرضها.. وبعد إلحاح شديد من الخالة زهرة اقتنعت أخيرا وحجزت لها موعدا عند صديقتها ياسمين المختصة في الأمراض النسائية لتكتشف بعد الفحص انها حامل، كانت تشعر بسعادة لا توصف سوف تصبح أما وزوجها آدم سيصبح أبا، سيكون لهما ملاك صغير يسمع صوت وطئ أقدامه وهو يركض في المنزل بنعومة وراحت تنتظر يومئذ زوجها على عجلة لتتنقل له أخبارا مفرحة.

عند عودة آدم فتح باب المنزل فركضت تجاهه كل من والدته وزوجته.. عند دخوله بدت على ملامحه تعابير توحى ببعض من القلق وفرط في التفكير و تبين بعدئذ أنه قد تلقى نداءا للإنضمام للجيش الوطني للمشاركة في الحرب ضد الجيوش الفرنسية وهذا مايعني مغادرة المنزل والخروج للحرب.. لم تكن الحرب

سبب قلق آدم وانزعاجه، ولكن ما أقلقه هو " من سيتكفل بحماية المنزل ووالده مريض طريح الفراش " .. راحت نبض بعدها تمسح عن جبينه العرق وتتساءل في نفسها أنى لها أن تخبر زوجها بخبر حملها، بينما كانت والدته تهدئه وتخبره بأن كل شيء سيكون على مايرام.. وأنهم سيكونون بخير في غيابه.

جاء اليوم الذي من المفترض ان يغادر فيه آدم، تناول حقيبه التي أعدتها له نبض واتجه نحو والده وأخذ يضمه ضما شديدا ويقبل كلا من جبينه ويده، بعدئذ قام باحتضان والدته التي لم تكف عيناها عن البكاء وقبل جبينها ويدها كذلك وودعته هي الأخرى وهي تقول:
رعاك الله يا عزيزي وحفظك بحفظه...

تقدم بخطى ثابتة إلى زوجته نبض ومن ثم اخذ
يحضنها بشدة وهي الأخرى التي لم تستطع ان
تكف عن البكاء، استجمعت قليلا من قواها
واخذت ترفع نفسها واقفة على اخمص قدميها
لتصل إلى أذنه وتهمس برفق: عائلتنا الصغيرة
ستكون بانتظارك... أحبك.. وهي تبتسم..
بادلها الإبتسامة نفسها وكأنه بالفعل قد فهم
ماكانت ترمي إليه وبالرفق ذاته دنا من اذنها
وقال: وأنا أعشقتك. وأخيرا قبل خدها وجبينها
وأعاد احتضانها ثم غادر المنزل وآمال الجميع
معلقة على عودته في اقرب وقت.

كانت الحرب تشدد والخسائر تزداد يوما
بعد آخر و كان آدم يشرف على معالجة
الجرحي في حين كانت حالة والده العم مختار

تزداد سوءا وتتدهور، بينما كان جنين نبض يتكور في احشاءها ويكبر.

زادت عندها حدة الصراع وشملت عدة مناطق حتى انتقلت النشاطات الحربية الى المدن ماكان دافعا إلى خروج العوائل من منازلهم بحثا عن مكان يحميهم من الموت، فقد كان يهدد حياة الجميع دون اقتصار. وهذا بالفعل ما اضطرت عائلة آدم لفعله، كانت نبض والخالة زهرة هما الوحيدتان اللتان نجتا بحياتهما بعدما توفي العم مختار اثر اصابته بسكتة قلبية أودت بحياته قبل مغادرة المدينة.

كانت الأيام تمر بسرعة انتفخت بطن نبض وقارب ميعاد وضع حملها في الوقت الذي كانت فيه هي والخالة زهرة تسيران دون توقف تتجهان الى المجهول.. وتركضان دون وجهة ودون اي دليل...

جاءت ساعة المخاض الساعة التي كان من الأرجح أن يخرج فيه مولودها الى الحياة، كانت نبض والخالة زهرة قد وصلتا الى مدخل غابة تقع على الحدود الفاصلة بين سوريا والأردن حين تعالت صرخاتها وراحت الطيور الواقفة على أغصان الغابة تفرد أجنحتها وتلوذ بالفرار، فصوت الصراخ يحسها بالخطر....

سمعت السيدة فاطمة التي خرجت برفقة ابنتيها بسمة وبلقيس لجمع بعض النباتات صراخا غير معتاد، صراخا لم تسمعه مذ وضعت آخر حامل في القرية حملها وهذا كان قبل سنتين، اخذت تنظر كل من بلقيس وبسمة إلى والدتيهما ثم هرع الثلاثة وراحوا يتتبعون مصدر الصراخ إلى أن وجدته عند مدخل الغابة. كانت نبض تتلوى من الألم حين إقتربن منها وحملنها

برفقة الخالة زهرة وأدخلنها إلى القرية المخبأة
بين أشجار الغابة..

راحت السيدة فاطمة تتولى مهمة توليد نبض
في الوقت الذي طلبت فيه من ابنتيها تحضير
غرفة لمكوث الخالة زهرة ونبض.. لم تكن
سوى دقائق حتى خرجت السيدة فاطمة من
الغرفة التي كانت فيها نبض لتخبر الخالة
زهرة بأنها قد فقدت مولودتها وأنها غائبة عن
الوعي.. أطرقت الخالة زهرة بعد ذلك هنيهة
وراحت تذرف بعضا من الدموع ثم اعادت
رفع ناظريها وهي تمسحها وتقول: إنا لله وإنا
إليه راجعون...

بعد ساعات من الانتظار استيقظت نبض بقوى
خارة لا تقوى على الحراك.. إلتفتت يمينا
ويسرة تبحث عن صغيرتها لتعلم عندها أنها لم
تتج، بعد دقائق دلفت إليها الخالة زهرة لتجدها
تبكي بشدة وتحتضنها الى صدرها وتقول

بصوت متألم: وحدي الله يا عزيزتي.. انه
قضاء وقدر منه.. لتجيبها بصوت يتخلله
البكاء: قدر الله وماشاء فعل..

بعد مضي قرابة ثلاث سنوات من اندلاع
الحرب، أخذت الجيوش السورية تزداد قوة،
على عكس القوى الفرنسية التي كادت تؤول
إلى النفاذ في الوقت الذي أخذ فيه آدم رفقة
صديقه الذي بترت يده أثناء الحرب كأسيرين
من طرف الجيش الفرنسي ليتم حجزهما في
برج شديد الحراسة يقع في منطقة نائية على
مقربة من الحدود الأردنية.. لم يكن أخذ آدم
محض صدفة... وانما كان أمرا مدروسا
فغياب أحد المسعفين يعد خسارة بالنسبة

للسوريين وضربة حظ بالنسبة للجيش الفرنسي..

كانت قد انقضت مذ أسر آدم مدة كفيّلة بأن يتخذ فيها قرارا حاسما يخصه ولم يكن ينتظر سوى اللحظة المناسبة التي ستمكنه من تنفيذ ما يسعى إليه.

كانت تلك ليلة ممطرة هرع فيها كل الحراس إلى البرج وفرغت الساحة ومامن حارس يتربح تحركات الأسيرين، اصطحب آدم صديقه ودخل كلاهما إلى حمام له نافذة صغيرة تطل إلى الخارج ليصعدا إليها ويقفزا خارجا دون ملاحظة أحد، وقلما يقف الحظ رفقة أمثال هذين فماهي إلا دقائق حتى هرع جندي فرنسي لتفقد الأسيرين ليفاجأ بفرارهما فما كان له إلا أن يدخل الحمام ليجد نافذته قد كسرت، أخذ يطل من خلالها ليبر بهما، وماهي إلا رصاصة واحدة أطلقها من بندقيته

الصغيرة تلك حتى فتك بأحدهما ليخر واقعا في
الأرض بعدها...

كانت الرصاصة تلك قد رسمت مسارها في
ظهر آدم واستقرت فيه وقد حققت أكبر أمنيات
ذاك الجندي، تشبث بكتف صديقه وأكملا
مسارهما ليفقد وعيه بعد ربع ساعة من المسير
وليمسك به صديقه ويسحبه معه الى المجهول..

بعد شروق الشمس ومع استيقاظ أهل القرية
بمن فيهم نبض التي جلست كعادتها تتأمل
صورة زوجها وتردد أماني محشورة بين اللهم
وأمين، حين تبادر إلى مسامعها أصوات فتية
يتهافون باسمها: ايتها الطيبة.. أيتها الطيبة
إن السيدة فاطمة تطلبك لغرفة العلاج.
_ غرفة العلاج!.. مالخطب، ماذا حصل؟

_ لا علم لنا. ولكن قد تم العثور على جريحين صبيحة هذا اليوم عند مدخل الغابة..

نعم فبعد وضع نبض لوليدتها وتمائلها للشفاء اضطرت هي والخالة زهرة للمكوث في القرية فلا مكان بأويهما غيرها لتصبحا فردين منها، وعمدت هي الأخرى إلى مساعدة السيدة فاطمة في اسعاف ومعالجة جرحى القرية.

اعادت نبض صورة زوجها مكانها وأسرعت لتكتشف ما حصل. دخلت غرفة العلاج وإذا بها تجد شابين مصابين ممدان على سريرين مصنوعين من سعف النخيل وكل منها في ركن من أركان الغرفة. اتجهت نبض أينما كانت السيدة فاطمة واقفة لتعلم منها ما الأمر ولتخبرها هي الأخرى بأن هذا الجريح قد مات. تفقدته نبض بحذر ثم قالت: ان جسده مايزال ساخنا، لا بد وأنه لم يمض الكثير على وفاته، ثم اردفت: المسكين ان ذراعه مبتورة

ولم تتلق العلاج، لأبد وأن ذلك كان سببا في وفاته.

_أجل على الأرجح.

كانت ملامح هذا الجريح مألوفة بالنسبة لها وكأنها تعرف هذا الشخص، وما هي إلا ثوان حتى تعرفت عليه وأدركت انه بالفعل رائد بطل حياتها المزيف كانت متأكدة من ذلك،فأنى لها أن تنسى ملامح من فطر قلبها ،نظرت إليه بأسى وهي تشعر بالشفقة تجاهه شاردة الذهن تحدث نفسها بحديث لايسمعه غيرها: أيعقل أن تكون الحياة تنتقم لي منه حتى يموت هذه الموتة الفظيعة...

ليقطع حديثها صوت السيدة فاطمة وهي تقول:
حضرة الطيبة اظن أن معالجة هذا الجريح أمر من اختصاصك، وهي تتجه إلى الجريح الثاني.

لحقت نبض بالسيدة فاطمة وهي تسألها عما حدث للجريح الثاني لتنظر إليه وتجده ممددا على بطنه وقد اخترقت رصاصة ظهره لتترك بقعة دم يميل لونه إلى السواد واسعة على قميصه الأخضر، في الوقت الذي دلفت فيه الخالة زهرة إلى قاعة العلاج وهي تستفسر من السيدة فاطمة ما حدث..

أخذت نبض تتفحص الجريح وتتفقد عمق جرحه لتقاطعها السيدة فاطمة وهي تحمل سترة عليها بقعة دماء بقولها: لقد وجدت بطاقة تدل على هويته في جيب سترته هذه وأظن أن هذا الجريح ينتمي إلى المدينة ذاتها التي تنتميان إليها،

تناولت نبض البطاقة لتفقد منه يدها دون شعور، التقطتها الخالة زهرة من الأرض وتفقدها لتكتشف ان الجريح الذي أمامها هو ابنها آدم، توجهت بعينيها تلقاء نبض التي لم

تتفك تنظر لأدم في زهول وأمسكت بكتفيها
تهزهما وهي تقول: نبض، نبض مابك نبض..
أشاحت ناظريها عن آدم وحولتهما تجاه الخالة
زهرة تارة ثم تجاه السيدة فاطمة تارة أخرى
ومن ثم أخذت تشير برأسها وتقول: لا..
لايمكنني فعل ذلك.. لايمكنني.. سيدة فاطمة
فلتفعل أنت ذلك رجاء.. أنا لا يمكنني،
وشرعت في البكاء..

راحت الخالة زهرة تمسح هلى كتف نبض
وتهدأها من جهة، ومن جهة أخرى تقنعها
بضرورة معالجتها لأدم في حين كانت السيدة
فاطمة تجهل تماما مايحصل بينما كانت تقول
نبض: إني أخاف أن أفقده يأمي.. وختمت
السيدة زهرة حديثها مع نبض بقولها:
عزيزتي، إن الحياة تمنحك فرصة لتكوني سببا
في إنقاذ حياته، ان الأقدار حملته إلى هنا فقط
لأن الله قد قدر لك معالجته، واردفت: قام

بمعالجتك أولاً، والآن ستعالجينه، أولاً ترين أن هذا سيكون هدف تعادل لك ثقي بالله وكوني على يقين بأن الله سيشفيه ولن يفقدك إياه، لترتسم عندها ابتسامة على شفتي نبض جراء ما قالته، نظرت إليها عندئذ والدمع يملؤ وجهها وكان الخالة زهرة قد زرعت فيها الأمل من جديد لتستجمع قواها وتحسم أمرها وتقول بعد صمت رهيب: سأفعل كل ما بوسعي وهي تمسح ما علق من الدموع بوجهها.

تقدت نحوه بخطى متثاقلة، قلب ينبض بشدة ويدان مرتجفتان وكأنما كانت تلك هي المرة الأولى التي تجري فيها عملية جراحية، بأدوات تقليدية بسيطة أجرت العملية انتزعت الرصاصة من ظهر آدم وعالجته كما قامت بنقله إلى غرفتها لتتسنى لها فرصة الإعتناء به دون أن تواجه أية مشاكل. مع مرور الأيام أخذت حرارة آدم تزداد ارتفاعاً أكثر فأكثر ما

كان يدفع نبض الى محاولة تخفيضها بخرقة
مبللة ولكن هذا الأمر لم يكن يجدي نفعا إلا
قليلا، كانت حالته المتدهورة والمستعصية
وإصابته البليغة أمران يستلزمان العلاج في
مشفى وهذا ما جعل تماثله للشفاء أمرا مستحيلا
في أعين القرويين، وعلى مضض، فإن نبض
كان لديها أمل و يقين كبيرين بشفائه عاجلا
وليس آجلاً.

" نبض "

فصبر جميل

معجزة ربانية تحمل في ثناياها الكثير،
تتوعدنا جبرا عقب كل صبر، عوضا جميلا
عقب كل فقد، ومفاجآت إلهية تلي كسورنا
وتجعل من خيباتنا نسيا منسيا.

وطعم مانحظى به يزداد حلاوة كلما كان
ماقاسيناه أكثر مرارة وكلما علمنا معنى
الصبر بحق.

احببت شابا في شبابي ظننت الحياة ستزهر من
حولي فقط لكونه برفقتي لكنه لم يكن أهلا
لكل هذا الحب، أخذت الخيبات تستهدف حياتي
وقلبي تباعا، خذلان رائد وفقدان عائلتي ثم
زواج خالتي، حتى جسدي خانني ولم يكن أهلا
لثقتي وأصبت بمرض وراثي ولكني اظن أنني
مدينة لمرضي هذا بشكر كبير، فكان بداية
العوض في حياتي.

عوضني الله بشخص يحبني ويسعى لإسعادي
حنون وكأنما أفرغ حنان الأم في قلبه دفعة
واحدة، مهتم ولا تهون عليه دمعتي، شخص
يحفظ تفاصيلي كلها بالتي أجهلها والتي لا
أحبها، شخص لا يسيء فهمي، يفهمني من
إيماءة رأسي من نظرتي ونبرة صوتي ومن
لون الابتسامة على وجهي، كان جديرا بي أن
أقول بأنه هدية الله لي، رزقني الله بوالدان
ينسيانني فقدان والداي كأن الله قد رزقني إياهما
من أجل ذلك.

يقال بأن الهموم كالغيوم، ما تراكت إلا
لتمطر، ولا تتأخر الأمانى إلا لتكبر العطايا.
وهذا ما كان يحدث فما تراكت الهموم في
قلوبنا إلا لأن الله قد قدر لنا الفرج دفعة واحدة.
استعاد آدم وعيه بعد إنتظار لا يقل عن مدة
شهر، حاملا معه رسالة من الله تبشرني أن
دعواي قد استجيبت وأمانى قد تحققت، أخذت

الأمانى تتحقق بعد ذلك تباعا، فلم تمر مدة
طويلة حتى وضعت الحرب أوزارها وسمعنا
زغاريد النصر وخروج العدو من أراضينا،
ليس ذلك فحسب، بل وتم إعادة تصليح كل ما
تم تدميره في الحقبة الماضية في غضون
سنتين لا أكثر وعادت المياه إلى مجاريها
وعدنا إلى مدينتنا، وكما يقال؛ ختامها
مسك.. فقد ختم الله فرحتي بأن رزقني
بفتاتين، زهرتين تشبهان والدهما، وتجمعان
تفاصيلي وتفصيله في نسخ مصغرة... كنت
قد سميتهما: الأء، و أمل...

بعد سبع سنوات

كان الجميع يستعد للذهاب إلى حفل عيد مولد
لؤي ابن خالة نبض حين دلف آدم إلى غرفته
ليجد نبض تضيف اللمسات الأخيرة ليقول:
إني لأخشى أن يعجب بك لؤي فلا يشيح
ناظره عنك..

إلتفتت إليه و قد احمرت وجنتاها، ثم قال:
سأخبرك سرا وما إن اقتربت لتسمع ما يقوله
حتى سحبها واسترق قبلة من خدها وهمس:
أحبك.. أخذت تنظر إلى الباب بطرف عينيها
لكنه لم يعي ما كانت تحاول اخباره به،
وماهي إلا ثوان حتى تبادر إلى مسمعيهما
صوت ضحكات مختبئة، تفاجأ آدم من ذلك
وراح يتتبع مصدر الصوت ليجد ابنتيه
الشقيتين محشورتين في المساحة الضيقة بين
الباب المفتوح والجدار الذي علقت عليه بعض
التياب، تنظران إليه بعينين ضاحكتين وابتسامة

غطيتهاها بكفيهما الصغيرتين، وبينما كان يبحث ضمن قواميسه عن كلمة تناسب الموقف هرعت الفتاتان إلى جدتهما التي كانت تنادي على الجميع. قبل أن تصلا إليها أخذت أمل تسأل شقيقتها وهي تتحقق ما إن كان والداهما خلفهما وهي تقول: أتعلمين ماذا قال بابا لماما حين همس في أذنها؟

لتجيبها في حيرة من أمرها: لا.. ماذا قال..

قال لها أحبك، وهي تتفقد مجددا الرواق.

وكيف علمت ذلك؟

لقد سمعته..

لديك سمع خارق يا أختي، وعلى كل حال

أنا أيضا أحب ماما كثيرا..

في حين إقتربت نبض من آدم وهي بالكاد

تمسك ضحكتها وتقول: أرادت أن تفاجأك،

ولكنك من فعل ذلك..

نظر إليها مسرعا وهو يقول: لم لم تخبريني؟

_ وهل تركت لي مجالا للحديث، وواصلت
ضحكها ثم أردفت: اه بالمناسبة، وراحت تقف
على أخمص قدميها لتصل إلى أذنه وتهمس
برفق: أنا أيضا أحبك..

لتمسك بذراعه بعدئذ ويذهبا حيثما كانت
تنتظرهما الخالة زهرة.

تمت بحمد الله